الصدرية في مخيم البريج، وفي وادي غزة.. إضافة إلى تلك الدوريات التي كانت تذبح الرعاة، والمزارعين على تخوم القطاع.

وكان يبدو للمراقبين أن هذا الواقع، بكل تفاصيله،يمكن أن يدفع الناس دفعاً إلى أي مخرج يطرح عليهم بدلاً من هذا الجنون، وكان ان طرح مشروع الاسكان والتوطين في صحراء سيناء.

وفي الثامن والعشرين من شباط (فبراير) عام ١٩٥٥، انفجر الوضع إلى ذروته القصوى،فقد فجر أهل القطاع انتفاضتهم الشاملة، بدأت الانتفاضة من مدرسة فلسطين الثانوية، حين لوح الشباب بمناديلهم المصبوغة بالدماء الحمراء وهم يهتفون:

سال الدم، سال الدم.

ثم توسع ذلك التدفق الجماهيري ليمتد شمالاً إلى جباليا وبيت حانون، وجنوباً إلى المعسكرات الوسطى في البريج والمغازي والنصيرات ثم إلى دير البلح وخان يونس ورفح، مظاهرات مثل السيل الهادر جرفت معها الرجال والنساء والأطفال في احتشاد لا يمكن وصف ايقاعه بدقة... اشتعلت النيران في مراكز الادارة ومراكز وكالة الغوث والبوليس الدولي.

لا توطين.. ولا اسكان، يا عملاء.. الأمريكان.

ولقد حدث بعد ذلك ان تراجع مشروع المؤامرة، وانطلقت حركة الفدائيين، وسجل الفلسطينيون انتصارهم الأول في مواجهة التحدي الكبير.

لقد كتب الكثيرون عن تلك الانتفاضة، وحاول بعضهم أن يلبسها العنوان الذي يريد، لكنه لم يسبق لحزب، مهما كان، ان يقنع الناس، قبل ذلك، بأن يحرقوا أرغفة الخبز الوحيدة التي يملكونها... مثلما حدث في ذلك الانفجار في قطاع غزة.

تلك الانتفاضة، كانت الاختبار الناجح الأول، لقدرة شعبنا على الاستجابة للتحدي الكبير، ليس فقط لأن الكثير من قادتهاوتلاميذها هم اليوم من قادة فتح وكوادرها، وليس فقط لأن بعض الاسماء البارزة التي اشتركت فيها اتحدت رغم الخلافات العقائدية في ايديولوجيا عليا واحدة هي أيديولوجيا فلسطين، وإنما لأن شعبنا الفلسطيني أعطى لفكرة الدفاع عن نفسه مضموناً يفوق آلاف المرات توقعات الآخرين.

فلسطين موجودة في التواصل.

تواصل الانتماء اليها.

وتواصل البحث عنها.

وتواصل القتال في سبيلها.

وتواصلها في الميدان الحضاري لشعبنا.